سامراء عاصمة الدولة العربية الاسلامية
"دراسة في تخطيط المدينة"

المدرس المساعد
هناء سعدون جبار
المعهد التقني / الكوفة

سامراء عاصمة الدولة العربية الاسلامية -دراسة في تخطيط المدينة-

المدرس المساعد

هناء سعدون جبار

المعهد التقني / الكوفة

المقدمة :

تتصف سامراء من الوجهة الاثرية بميزة فريدة بين مختلف المدن العربية اذ هي بقايا مدينة (سر من راى) القديمة التي شيدت بسرعة غريبة وصارت عاصمة ذات شان ثم هجرت فجاءة ولم يدم ازدهارها غير مدة قليلة بحدود النصف قرن فكل ما فيها من اثار ومبان ينحصر في تلك الفترة الزمنية المحدودة.

ولاهمية هذه المدينة واثرها في التاريخ العربي الاسلامي فقد سميت للكتابة في هذه المدينة، حين جاء البحث في مقدمة وثلاث مباحث، تناولت في المبحث الاول اصل التسمية والنشاة فيما تناولت في المبحث الثاني بناء المدينة واهم معالمها وفي المبحث الثالث عرضت بشكل موجز الخلفاء العباسيين الذين تواجدوا في المدينة ابتداءا من التاسيس فالازدهار ثم الاهمال والخراب. وكانت الخاتمة مع ابرز تضمنه البحث من افكار ثم تلاها ثبت بالمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في كتابة البحث والتي كان في مقدمتها كتاب البلدان لليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) والذي يعد من اهم الكتب البلدانية، التي تناولت تاسيس هذه المدينة وعرض لاهم المنشات والخطط التي تضمنتها هذه المدينة خاصة وان مؤلف الكتاب يعتبر من المعاصرين للمدة التاريخي وكتاب مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٥هـ) وكتاب معجم البلدان لياقوت (ت ٦٢٦هـ) وكتاب الخلافة العباسية لفاروق عمر فوزي وكتاب تاريخ الشعوب الاسلامية لبيروكلمان وكتاب العوامل التاريخية عباس الموسوي اضافة الى

العديد من المصادر والمراجع المهمة التي لا تبني للباحث عنها وهو في صدد الكتابة عن مثل هذا الموضوع.

المبحث الاول
التسمية والنشأة

أصل التسمية:

ذكرت المصادر التاريخية ان سامراء ترجع الى عهد سام بن نوح(ﷺ) حيث جاء فيها ان المنطقة تلك كانت تسمى (سام راه) بمعنى طريق سام ويقال ان سامراء بناها سام بن نوح (ﷺ) ودعى الله ان لا يصيب اهلها سوء [١]. فيما يقال بان التحريات الاثرية ترجع الى ادوار ما قبل التاريخ من الالف الخامس (ق. م) على اسم مستوطن قديم عرفه الاشوريين والبابليين باسم سومارتا، وعرفت هذه المنطقة ايام الساسانيين باسم الطيرهان [٢] ويقال بانها كانت من المدن العتيقة للفرس تحمل اليها الاتاواة و(مره) اسم العدد ومعناها مكان قبض عدد جزية الروم [٣] ولعل الاذن العربية توهمت بان اسم سامرا الفارسي يخفي في طيات نذير شؤم منحرف في الاستعمال الرسمي الى (سر من راى) [٤]، ويقال ان اسمها القديم ساميرا [٥].

وسامراء لغة من سر "سر من راى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت وفيها لغات سامراء ممدودة وسامرا مقصورة"[٦].

نشأة المدينة:

أسسها وبناها الخليفة المعتصم [٧] سنة (٢٢١هـ، ٨٣٦م) في الجانب الشرقي من دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا [٨] ولعل السبب في تاسيس المدينة هو لكي تكون حاضرة جديدة للخليفة المعتصم بدلا من بغداد التي

اصبحت ايام المعتصم مركزا كبيرا لجنسيات مختلفة على راسها الاتراك [٩]. حيث اعتمد المعتصم عليهم بعد ان خصصت ثقته بالجندي الفارسي الذي كان يروم تولية العباس بن المامون خليفة [١٠]. كما ان المعتصم دعته عصبيته التركية الى التفكير بالاستعانة بالعنصر التركي اذ ان امة كانت تركية وكانت تدعى ماردة [١١] (لذلك كثرت جيوشه ومالكيه منهم فمدوا ايديهم الى حرم الناس)[١٢].

((وكانت الاتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الاسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك فكان اهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامراة او شيخ كبير او صبي او ضرير)) [١٣]، فتاذى الناس حتى ان شيخا اغلظ للمعتصم في مقولته ((فقال له: يا ابا اسحاق فاراد الجيد ضربه فمنعهم وقال يا شيخ مالك، مالك، قال: لاجزاك الله عن الجوار خيرا جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فاسكنتهم بيتنا فايتمت صبياننا وارملت بهم نسائنا وقتلت رجالنا والمعتصم يسمع ذلك فدخل منزله)) [١٤].

واجتمع اهل بغداد ووقفوا للمعتصم وطلبوا منه منعهم او نقلهم فقال بانه سيوصيهم بترك الاذى فما زادهم ذلك الا فسادا [١٥] فاجتمع اهل بغداد للمعتصم وقالوا له: ((ان لم تخرج عنا بجندك حاربناك بسهام الاسحار فقال: لا طاقة لي على ذلك فكان ذلك سبب بناءه لسامراء وتحوله اليها))[١٦].

ويرى بعض الباحثين ان وراء خروج المعتصم من بغداد عوامل كثيرة الفارق الحضاري والاجتماعي بين سكان بغداد والاتراك [١٧] واتباع المعتصم عنصرية خاطئة في اعتماده على هؤلاء الاتراك دون العرب اضافة الى انتصاره للمعتزلة واضطهاد خصومهم والمصاعب التي واجهته في فتنة اليهود المعروفين في التاريخ بـ(الزط) [١٨] ومعاداته للعلويين [١٩].

ورغم تعدد الروايات التاريخية في ذكر الاسباب التي دفعت المعتصم

الى الخروج من بغداد فعلى ما يبدو لي ان كل تلك العوامل والاسباب مجتمعة هي التي كونت دافعا للمعتصم للخروج من بغداد.

المبحث الثاني

بناء المدينة واهم معالمها

لقد ارتاد المعتصم قبل استقراره في سامراء عدة مواضع منها الشماسية [٢٠] والبردان [٢١] ثم باحمشا [٢٢] ولكنه مجدها كلها قريبة من بغداد او انه لم يستطب هواءها او انها كانت ضيقة [٢٣]، ثم مر بالقاطول [٢٤] وبدا البناء فيها [٢٥] وخرج يتقرى المواضع فانتهى الى القادسية جنوبي شرق سامرا فبنى معسكر على ارضها ثم انتقل الى موضع سامراء [٢٦] وكان هناك دير للنصارى [٢٧]، يدعى (دير العذارى) وهو دير قديم به نساء عذارى مترهبات بالقرب من (سر من راى) [٢٨]، فسال اهل الدير عن الموضع ((فقالوا: نجده في الكتب السالفة انه مدينة سام بن نوح فنظر المعتصم الى فضاء واسع وهواء طيب وارض صحيحة فاستمراها واستطاب هواءها فاقام ثلاثا فوجد نفسه تواقة للغذاء وتطلب الزيادة فعلم انه تاثير الهواء والماء فدعا باهل الدير واشترى ارضهم باربعة الاف دينار ثم وضع اساس بنيان قصره وهو الموضع المعروف بالوزيرية)) [٢٩].

وابتدا بتخطيط المدينة فخط المسجد الجامع اولا واختط من حوله الاسواق، واختار بنفسه مواضع القصور والساحات والمتنزهات ثم اقتطع للقادة والكتاب والناس القطائع وجعل المدينة واسعة في كل مرافقها تحاشيا للزحام وابتعادا عما يحصل من هرج ومرج كما كان يحصل في بغداد [٣٠].

وعهد المعتصم ببناء المدينة الى قائده اشناس التركي [٣١] فانشا فيها قناتين تفرعتا عن دجلة نحو الشرق المدينة اضافة الى النهر نفسه منصة الحصن البحري [٣٢] لذلك كان موقع المدينة حصينا بطبيعته كذلك لم يهتم المعتصم

بإدارة سور حول المدينة كما فعل المنصور بمدينة بغداد [٣٣]. ثم صار الى موضع القصر المعروف بالجوسق فبنى عدة قصور، للقادة الاتراك سماها باسمائهم [٣٤].

فلما ارتفع البنيان احضر اهل المهن من سائر الامصار ونقل لهم الاشجار وجعل للاتراك قطائع جيدة ثم اختطت الخطط واقتطعت القطائع والشوارع والدروب [٣٥]، ولم يكتف المعتصم بذلك حيث استقدم من كل بلد من يعمل عمل من الاعمال او يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع وهندسة الماء وما الى ذلك من العلوم [٣٦]، وافرد لاهل كل صنعة سوقا ثم بنى الناس وشيدت الدور والقصور وكثرت العمارة[٣٧].

ومنذ ان انتقل المعتصم الى سر من راى وبدا ببناءها فقد توفي او قتل فيها من الخلفاء المعتصم [٣٨] والواثق [٣٩] والمتوكل [٤٠] والمنتصر[٤١] والمستعين[٤٢] والمعتز [٤٣] والمهتدي [٤٤] وشطرا كبيرا من خلافة المعتمد [٤٥] الذي تركها ليعود الى بغداد.

المبحث الثالث

خلفاء بني العباس في سامراء

بعد وفاة المعتصم اعتلى خلافة الدولة العربية الاسلامية الخليفة الواثق والذي صارت سامراء في عهده مدينة عامرة وزاد فيها البناء[٤٦]، وعلى ما يبدو ان الزيادة في البناء جاءت نتيجة لزيادة السكان لكثرة من وفد اليها على اعتبار انها قد اصبحت عاصمة الدولة العربية الاسلامية.

وفي عهد المتوكل فقد بنى مسجدا جامعا كبيرا وامر ان ترفع منارته لتعلو اصوات المؤذنين حتى نظر اليها من فراسخ [٤٧]، ووصف هذا الجامع بانه جامع كبير يفوق جامع دمشق فقد لبست حيطانه بالبناء وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به، له منارة طويلة [٤٨].

ثم شق المتوكل من دجلة قناتين شتوية وصيفية تدخلان الجامع المذكور وتتخللان شوارع سامراء وشق نهر اخر لكنه قبل اتمامه [٤٩] وقد احدث المتوكل طرازا معماريا خاصا عرف بالطراز الحيري تشبها ببعض ملوك الحيرة [٥٠].

واستحدث المتوكل مدينة خاصة به عرفت بالمتوكلية او الجعفرية وقد خطها بشكل يختلف كل الاختلاف عن المدن الاسلامية الاخرى فلم يكن المسجد الجامع يتوسطها ولم تكن مدورة مثل بغداد [٥١] وبعد مقتل المتوكل امر ابنه المنتصر الناس بالانتقال وهدم المنازل وحمل انقائها الى سامراء، ولعل ابرز ما بني في المتوكلية كان جامع ابي دلف نسبه الى القاسم بن عيسى بن ادريس الذي عاش في زمن المامون والمعتصم وتوفي سنة ٢٢٦هـ.

وعلى ما يبدو ان تسمية الجامع باسم ابي دلف جاءت متاخرة على بناء المسجد حيث جاءت من باب التغليب لما اشتهر به ابو دلف من كرم وشجاعة واشهر ما في الجامع ملويته التي تقوم فوق قاعدة طولها (٣٢٨ ياردة) وهي على طراز الابراج البابلية ذات السلالم (الزقورة) تتوسط الجامع المستطيل الذي يبلغ طوله (٢٦٠م) وعرضه (١٨٠ م) ومساحة صحنه (٤٤ الف م^{٢}) وهو اذا ما قورن بالكنائس الاوربية فهو يفوقها سعة فكنيسة ابا صوفيا في اسطنبول تبلغ (٦٨٩٠ م^{٢}) وصحن كنيسة القديس بطرس تبلغ (١٥١٦٠ م^{٢}).

وظلت سامراء في عهود الخلفاء العباسيين الذين تلو المتوكل زاهية عامرة حتى مجيء المعتمد الذي اقام في قصر الجوسق ثم انتقل الى الجانب الشرقي من سامراء وبنى قصرا موصوفا سماه (المعشوق).

وحينما هجرت سامراء آل اليها الخراب بسرعة عجيبة وقد وصفت في القرن الرابع الهجري بانها (مدينة اسلامية ابتداها المعتصم واستتم بناءها المتوكل وهي خراب ربما يسير الرجل فرسخ منها لا يجد دار معمورة).

ووصفت بانها ارض مهجورة وذلك حينما زارها الرحالة ابن جبير الاندلسي في القرن السادس الهجري وابن بطوطة الطنجي في القرن الثامن الهجري واهم الشواهد الباقية في سامراء اضافة الى الملوية قبر الامامين علي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري(عليهما السلام) وبها غاب الامام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) وبها قبور الخلفاء الواثق والمتوكل والمنتصر والمعتز والمعتمد.

الخاتمة:

لعل من اهم النقاط التي توصل اليها الباحث تتلخص في:

١. ان سامراء المدينة التي بنيت على اس مدينة قديمة اختلف المؤرخون في اصولها التاريخية الاولى رغم اني ارجح الراي القائل بان التحريات الاثرية يرجع المدينة الى ادوار ما قبل التاريخ.
٢. ان المدينة بناها المعتصم العباسي بعد ان ضاقت بجنده التركي مدينة بغداد.
٣. بلغت المدينة اوج شهرتها وازدهارها في عصر المتوكل حتى قال المؤرخون بانه لم يبني احد من الخلف بسر من راى من الابنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل.
٤. من ابرز معالم المدينة جامع ابي دلف وملوية سامراء الشهيرة التي لا تزال معالمها واضحة حتى يومنا الحالي.
٥. ان هذه المدينة شيدت واصبحت عاصمة ذات شان ثم هجرت بعد ان انتقل المعتمد منها الى بغداد وفجاءة ليطالها الخراب بعد ان اهملت من قبل الدولة ولذلك فان ازدهارها لم يدم سوى ما يزيد على النصف قرن.

Abstract

Characterized Samarra destination archaeol-ogical feature is unique among the various Arab cities, as are the remains of the city (the secret of view) the old, which was built quickly bizarre and became the capital of Shan and then abandoned suddenly did not last boom is a few up to half a century all that the effects of the buildings is limited to those limited time period.

قائمة الهوامش والمصادر

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٠.

(٢) باپان، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية، ص ١٤٧.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٠.

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية

(٥) البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج٢، ص٧٠٩.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٠.

(٧) المعتصم (هو ابو اسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، للمزيد ينظر: الخضري بك، الدولة العباسية، ص٨.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١١.

(٩) الجنابي، مسجد ابي دلف

(١٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢.

(١١) الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، ص ١٤٤.

(١٢) القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص٣٨٥.

(١٣) المسعودي، مروج الذهب او معادن الجوهر، ج٤، ص٤٤.

(١٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٣٢٢، عبد الباقي، سامراء عاصمة الدولة العربية في عصر العباسيين، ج١، ص٢٠.

(١٥) القزويني، اثار البلاد، ص٣٨٥.

(١٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٣٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١١؛ عبد الباقي، سامراء، ج١، ص٢٢.

(١٧) فوزي، الخلافة العباسية، ص١٢.

(١٨) حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج٢، ص٣٢٨.

(١٩) الشماسية، تنسب الى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في اعلى مدينة بغداد واليها ينسب باب الشماسية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٥٤.

(٢٠) البردان

(٢١) باحمشا: قرية بين اوانا والحصيرة وكانت بها وقعة للمطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي في ايام الرشيد، نفس المصدر، ج١، ص٢٥٢.

(٢٢) الموسوي، العوامل التاريخية، ص١٤٦.

(٢٣) (القاطول) وهو نهر حفره هارون الرشيد بالقرب من سامرا سماه القاطول واتى الجند وبنى عنده قصر، المصدر السابق، ج٣، ص١١.

(٢٤) الموسوي، العوامل التاريخية، ص١٤٦– ١٤٧؛ عبد الباقي، سامرا، ج١، ص ٢٧– ٢٨.

(٢٥) الجنابي، مسجد ابي دلف، ص٨٨.

(٢٦) دير العذارى، هو بين ارض الموصل وبين ارض باجرمن من اعمال الرقة وبه نساء عذارى قد ترهبن واقمن به للعبادة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٢.

(٢٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٥٤.

(٢٨) ابن قتيبة، عيون الاخبار، ج٤، ص١١٢.

(٢٩) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص ٥٤.

(٣٠) اليعقوبي، البلدان، ص٢٥٨.

(٣١) اثاس التركي، غلام تركي اشتراه المعتصم، ينظر: الخضربك، ص٢٢٣.

(٣٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص٢١٠.

(٣٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد مدينة السلام، ج١، ص٧٤.

(٣٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٣٢.

(٣٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٥٤.

(٣٦) اليعقوبي، البلدان، ص٢٦٤، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٢.

(٣٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٥٤.

(٣٨) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ١٢١– ١٢٥.

(٣٩) اليعقوبي، البلدان، ص٢٦٤.

(٤٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٥.

(٤١) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص١٢٢.

(٤٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١١.

(٤٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٩٧.

(٤٤) لمعرفة المزيد من تخطيط المدن، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص٢٢٦- ٢٦٧، الجنابي، مسجد ابي دلف، ص١١.

(٤٥) اليعقوبي، البلدان، ص٢٦٧.

(٤٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٤١٦- ٤٢٣.

(٤٧) بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص٢١١.

(٤٨) اليعقوبي، البلدان، ص٢٦٧.

(٤٩) الاطمزي، المالك والممالك، ص٦٠.

(٥٠) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار، ج١، ص٤٧.

(٥١) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٢؛ محمد غربال، الموسوعة العربية، ج٢، ص٩٤٨.